

٦٩ - وجاء الشتاء.

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد .

فاتقوا الله أيها الناس، وقوموا بما فرض الله عليكم من الحقوق والواجبات، وانتهوا
عما نهاكم عنه من المعاصي والسيئات، فإن الله قد أعدَّ لعباده المتقين ما لا عين رأت،
ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلبٍ بشرٍ.

واعلموا أيها المؤمنون، أن ربكم، الذي لا إله إلا هو، ولا ربَّ سِواه، له الحكمةُ
البالغةُ، والقدرةُ النافذةُ، يقلبُ الليلَ والنهارَ، يولجُ الليلَ في النهارِ، ويولجُ النهارَ في
الليلِ: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾^(١).

فمن بديعِ حكمته الباهرة، وعظيمِ منتهِ الله تعالى على عباده، ورحمته بهم، أن نوعَ لهم
الفصولَ في العامِ الواحدِ، بين صيفٍ وشتاءٍ، وبين ربيعٍ وخريفٍ، لتتِمَّ بذلك
مصالحهم، ويستقيمَ معاشهم، ويُستويَ أمرهم.

فالحمدُ لله الذي لا إله إلا هو على برِّه وإحسانه، ولطفه ورحمته وحكمته وامتنانه.

عباد الله.

قد أَظْلَكُم فَضْلَ الشَّتَاءِ، وَهُوَ فَضْلٌ كَانَ يَكْتُبُ فِيهِ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمَّالِهِ: (إِنَّ الشَّتَاءَ قَدْ حَضَرَ، فَتَاهَبُوا لَهُ أَهْبَتَهُ، مِنَ الصُّوفِ وَالْخِصَافِ وَالْجَوَارِبِ، وَاتَّخِذُوا الصُّوفَ شِعَارًا وَدِثَارًا) (١).

وَإِنْ مِنْ مِنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكُمْ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْبُرْدَ، فَخَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَصْوَابِ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، مَا فِيهِ دِفْءٌ لَكُمْ وَوَقَايَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢)، فَاشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّ الشُّكْرَ سَبَبٌ فِي الْمَزِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٣).

عباد الله.

إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَنْوِيعِ الْفُصُولِ أَنْ يَحْصَلَ بِذَلِكَ تَذَكُّرُ جَهَنَّمَ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ وَشِدَّةَ الْبُرْدِ يُذَكِّرَانِ النَّاسَ بِمَا فِي جَهَنَّمَ، مِنَ الْحَرِّ وَالزَّمْهَرِيرِ، فَفِي "الصَّحِيحِينَ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اشْتَكَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأُذِنَ لَهَا بِتَنْفَسَيْنِ، نَفْسٌ فِي الشَّتَاءِ،

(١) ذكره ابن رجب في: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٢) سورة النحل: ٥.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

ونفسٌ في الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ^(١).
قال الله تعالى مخبراً عن أهلِ جهنم -نعوذ بالله منها-: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا
شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا^(٢)، فجَهَنَّمُ يَعَذِّبُ أَهْلَهَا بِالْحَرِّ
وَالزَّمْهِيرِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الغساقُ الزمهيرُ الباردُ الذي يَحْرِقُ من برده"^(٣).
وقال الحسن رحمه الله: "كلُّ بردٍ أهلكَ شيئاً فهو من نفسِ جهنم"^(٤).
فَيَا مَنْ آذَاهُ حَرُّ الصَّيْفِ، وَيَا مَنْ أزعجَهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ، اتَّقِ عَذَابَ جَهَنَّمَ، إِنْ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا، فَإِنْ مَا تَجِدُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، أَوْ شِدَّةِ الْحَرِّ إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُسِيرُ
مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهِيرِهَا.

فَكَيْفَ بِكَ يَا مَنْ أَسْرَفْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، يَوْمَ يُؤْتَى بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ
أَلْفَ زَمَامٍ، ثُمَّ يُقَالُ: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).
أيها المؤمنون.

إِنَّا نَعِيشُ هَذَا الْفَصْلَ، وَيَعِيشُ مَعَنَا إِخْوَانُنَا، قُدِّرَتْ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقُهُمْ، وَقَصُرَتْ

(١) أخرجه البخاري (رقم ٣٢٦٠) ومسلم (رقم ٦١٧).

(٢) سورة النبأ: ٢٤-٢٦.

(٣) تفسير ابن رجب ٢/٣٣٦.

(٤) ذكره ابن رجب في: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٥) سورة الطور: ١٦٠.

بهم النَّفَقَةُ، وهم بأمرس الحاجة إلى العون والمساعدة في إقبال الشتاء، فقدّموا لأنفسكم، وتفقّدوا إخوانكم المحتاجين، وابدؤوا بأقاربكم، وذوي أرحامكم، ثم جيرانكم، وأهل بلدكم، ثم الأقرب منكم فالأقرب، ولا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقِ النَّارَ، ولو بِشِقِّ تمرٍ)^(١).

أيها المؤمنون.

أخرج الإمام أحمد بسندٍ ضعيفٍ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشتاءُ ربيعُ المؤمنِ، طالَ ليلُهُ فقامه، وقصُرَ نهارُهُ فصامه»^(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: "إنما كان الشتاء ربيع المؤمن؛ لأنه يرتع فيه في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، ويُنزّه قلبه في رياض الأعمال الميسرة فيه"^(٣). فالؤمن يا عباد الله يقدر في الشتاء على صيام نهاره، من غير مشقة ولا كلفة، فإن نهاره قصيرٌ باردٌ، فلا يُحسُّ فيه بمشقة الصيام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصَّيَامُ فِي الشَّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (رقم ١٣٤٧) ومسلم (رقم ١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) (١١٧٣٤)، والحديث حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٥٨.

(٣) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (٣٥٦).

(٤) جاء من حديث عامر بن مسعود عند أحمد (٣٣٥/٤)، والترمذي (٧٩٤)، وابن خزيمة (٣/٣٠٩)

وغيرهم، وفيه علتان: جهالة نمير بن عريب، والإرسال. وجاء من حديث أنس عند الطبراني في الصغير (٥٧١٦)، والشجري في الأمالي (١١١/٢)، وابن عدي (٣/١٢١٠)، وفيه ثلاث علل: ضعف سعيد بن

فاغتنموا هذه الفرصة يا عبادَ الله فإنَّ للصيام فضائلَ عظيمةً عديدةً، ولو لم يكن فيه إلا ما قاله الله تعالى في الحديث الإلهي: (الصَّيَامُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ)^(١) لكان كافياً. أيها المؤمنون.

إن من أبواب الخير في هذا الفصلِ طولَ الليلِ، الذي يتمكَّنُ العبدُ فيه من القيامِ، فِلطُولِهِ يمكنُ أن تأخذَ النفسَ حظَّها من النَّومِ، ثم تقومُ بعد ذلك إلى الصلاةِ، إلى صلاةِ الليلِ، التي قال الله فيها: ﴿ وَمَنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾^(٢)، وقال فيها: ﴿ وَمَنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾^(٣)، فإن صلاةَ الليلِ شعارُ المتقينِ، ودثارُ أولياءِ الله المفلحينِ، قال الله تعالى في وصفِ عباده المتقينِ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤).

قال الطبريُّ في تفسيرِ هذه الآية: " فلا تعلمُ نفسٌ أيُّ نفسٍ، ما أخفى اللهُ لهؤلاءِ، الذين وَصَفَ جَلَّ ثناؤُهُ صفتَهُمْ في هاتينِ الآيتينِ، مما تَقَرَّبَ به أعيُنُهُمْ في جناتِهِ يومَ

بشير الأزدى، وعننة الوليد بن مسلم، والوقف، وجاء من حديث جابر أيضاً عند ابن عدي (١٠٧٥ / ٣)، وفيه أربع علل: عبد الوهاب البلخي، وهو متروك الحديث بل كذبه أبو حاتم، وعننة الوليد بن مسلم، وضعف زهير بن محمد التميمي في رواية الشاميين عنه، وهذا منها، والمخالفة في الإسناد.

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الإنسان: ٢٦.

(٣) سورة ق: ٤٠.

(٤) سورة السجدة: ١٦-١٧.



القيامة، ثواباً لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون"^(١).
فاتقوا الله عباد الله، فليَلُ الشتاء طويلاً، فلا تقصِّروه بمنامكم، ولا تضيِّعوه
بسهركم على المعاصي والملذات، واجعلوا ليَلكم ليَل المتقين الذاكرين، لا ليَل
الغافلين المستهترين.

قال ابن القيم رحمه الله: "فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في صورة
عاقل، أثر الحظَّ الفاني الرخيص على الحظَّ الباقي النفيس، باع جنَّة عرضها الأرض
والسواتُ بسجنٍ ضيق بين أصحاب البلية والشهوات"^(٢).

أيا صاح هذا الركبُ قد سارَ مُسرِعاً ونحنُ قعودُ ما الذي أنتَ صانعُ
على نفسه فليبك مَنْ كانَ باكياً أيذهبُ وقتي وهو باللَّهو ضائعُ
اللهم أعنا على ذكرِكَ وشكرِكَ وحُسنِ عبادتِكَ.

❖❖❖❖❖

(١) تفسير الطبري ١٨/٦١٦.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأحكم الحاكمين، و بعد.
فاتقوا الله عباد الله، وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة، عرضها السماء والأرض،
أعدت للمتقين.

أيها المؤمنون.

إن من أبواب الخير في فصل الشتاء إسباغ الوضوء وإتمامه، فإن ذلك من أفضل
الأعمال، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما
يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: إسباغُ
الوضوء على المكارِه، وكثرةُ الخُطَا إلى المساجِد، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، فذلِكُم
الرِّباطُ، فذلِكُم الرِّباطُ»^(١).

فأسبغوا أيها المؤمنون الوضوء، فإن أجره عند الله عظيمٌ.

وإسباغ الوضوء يكون بتعميم الماء على جميع أعضاء الطهارة، فقد أمر النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك، فقال في حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه: «أسبغ الوضوء،
وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق ما لم تكن صائماً»^(٢).

أيها المؤمنون..

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٧٨٨)، وأبو داود (١٤٢)، والنسائي (٨٧) وابن ماجه (٤٠٧) وقال الترمذي:

حديث حسن صحيح.

إِنَّ رَبَّكُمْ الْكَرِيمَ الْحَلِيمَ لَمْ يَجْعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، بَلْ جَعَلَهُ يَسِيرًا سَهْلًا،
قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(١).

فمن تيسيره: أن أجاز لكم المسح على الخُفَّين، بدلاً من غسل الرِّجْلين، إذا كانتا
مستورتين بخُفٍّ أو جوربٍ ونحوهما.

وذلك بشرط أن يكونا قد لبسنا على طهارة، وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها^(٢)، تبتدىء المدة من أول
مسحة بعد الحدث، فإذا لبس الإنسان الجورب مثلاً وقت صلاة الفجر، ولم يمسح
عليها أول مرة إلا لصلاة الجمعة، فيكون ابتداءً مدة مسحه من صلاة الجمعة إلى مثل
هذا الوقت من الغد، فإذا تمت المدة وجب عليه غسل رجليه إذا توضأ.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، ودعوةً مستجابةً يا رب العالمين.



(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٧٧)، وابن ماجه (٥٥٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٤٧).